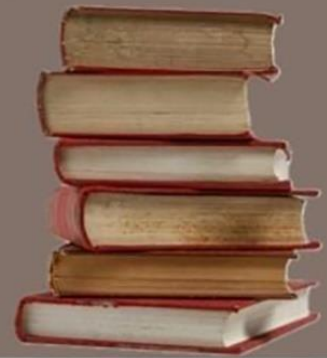




تفريغ مقدمة مَجَالِسِ الْحَمَاسَةِ

للشيخ
محمد محمود أحمد الشيخ الشنقيطي
حفظه الله

المحاضرات
المُفَرَّغَة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل المرسلين خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فقد طلب مني بعض الإخوة والأحبة ممن لا يسعني مخالفتهم أن أقدم لهم مجالس إملاء على كتاب "حماسة أبي تمام"، وأنا لا أرى في نفسي الأهلية لذلك، ولكنهم أحسنوا بي الظن، فأنا أعرف قصر باعني، وقلة اطلاعي، وأعترف بذلك.

ولكنه قد يئذل الجهد مقتراً وقد تكرم الأضياف والقُدُّ يُشتوى

فكان لابد من إجابتهم لذلك.

وسنبداً هذه المجالس إن شاء الله بمقدمة لا أسمىها محاضرة، وإنما هي خواطر وسوانح حول اللغة، والأدب، والشعر.

الشعر: هو أعظم نسق أدبي توصلت له العرب قبل الإسلام، وقد كان يريدون الذي يحمل مثالبهم ومآثرهم، كما قال الأعشى في مديحه للمُحَلَّق:

أَبَا مِسْمَعٍ سَارَ الَّذِي قَدْ صَنَعْتُمْ فَأَنْجَدَ أَقْوَامٌ بِذَاكَ وَأَعْرَقُوا

أي: بلغ به قوم نجداً، وقوم بلغوا به العراق، يُبشّره أن مدحه قد سار في الآفاق؛ لأن

الشعر يُسير الممادح والمثالب في الآفاق، وقال زهير بن أبي سلمى:

فَإِنَّ الشَّعْرَ لَيْسَ لَهُ مَرْدٌ إِذَا وَرَدَ الْمِيَاهَ بِهِ التَّجَارُ

وقد كان تأثيره فيهم أوقع وأقوى من تأثير السهام والسنان كما قال شاعرهم:

جِرَاحَاتُ السَّانِنِ لَهَا التَّيَامُ وَلَا يَلْتَامُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

ولأجل هذا التأثير القوي، فإن النبي ﷺ شبه بلاغة الكلام، ووقعه في القلوب بالسحر،

فقال: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا».

وأصل ذلك قصة الزُّبرقان بن بدر مع عمرو بن الأهتم رضي الله تعالى عنهما، كانا قد وفداً على النبي ﷺ فقال: الزُّبرقان: يا رسول الله، أنا سيّد تميم وفارسُها المُطاع فيها، وهذا يعرفُ هذا، فقال عمرو بن الأهتم: إنه لشديدُ العارِضة، مُطاعٌ في أدنيّه، مانعٌ جانبه، قال الزُّبرقان: والله لقد عَلِمَ أعظمُ من ذلك وما منعهُ أن يتكلّمَ إلا الحسد، فقال عمرو بن الأهتم: أنا أحسدك؟! والله إنك للئيمُ الخال، حديثُ المال، أحمقُ الوالد، مُبَغَّضٌ في العشيرة، فالتفت عمرو بن الأهتم فرأى وجه رسول الله ﷺ قد تغيّر؛ لأنه رأى أن كلامه ناقضٌ بعضه بعضاً، فقال يا رسول الله، رضيتُ فقلت أحسنَ ما عَلِمْتُ، وغضبتُ فقلت أسوأَ ما علمتُ، وما كذبتُ في الأولى ولقد صدقتُ في الثانية، قال النبي ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا».

هكذا كانت الكلمات تبلغ مبالغها في قلوب العرب، وأعظم ذلك الشعر، فالشعر كان يرفع البيوت ويضعها.

ومن القصص المشهورة في ذلك قصة بني نُمير وهم: حيٌّ كانوا معروفين بالشرف، وكان الرجل منهم إذا انتسب فخّم الميم فقال: أنا من نُمير، ونُميرٌ هذا هو: ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كانوا من بيوتات الشرف والعزّ في العرب، حتى هجاهم جريرٌ بن عطية بن الخطفي بقصيدته المشهورة التي يُخاطب فيها شاعرهم الراعي النميري والتي أولها:

أَقْلِي اللَّوْمَ عَاذِلٌ وَالْعِتَابَا وَقُولِي إِنَّ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا
إلى أن يقول:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَغَبًّا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابَا

وَلَوْ وَزَنْتَ حُلُومَ بَنِي نُمَيْرٍ عَلَى الْمِيزَانِ مَا وَزَنْتَ ذُبَابًا

فحطَّهم ذلك عند العرب، وأصبحوا حاملِي الذَّكر، وأصبح الرجل منهم إذا أراد أن

ينتسبَ لم ينتسبَ إلى نُمير، وإنما يرفعُ نسبه إلى عامر بن صعصعة فيقول: أنا عامري، وقد

ظَفِرَ الحجاج بأسرى منهم وأسرههم، ثم إنه خرج ليلةً وهنًا من الليل فسمع أحدهم يقول:

أَلَا يَا سَنَا بَرَقَ عَلَى قُلَلِ الْحِمَى لَهَنَّاكَ مِنْ بَرَقِ عَلِيٍّ كَرِيمٍ

لَمَحَتْ أَفْتِدَاءَ الطَّيْرِ، وَالْقَوْمُ هُجِعَ فَهَيَّجْتَ أَحْزَانًا، وَأَنْتَ سَلِيمٌ

فَهَلْ مِنْ مُعِيرٍ طَرَفَ عَيْنٍ خَلِيَّةٍ؟ فَإِنْسَانُ عَيْنِ الْعَامِرِيِّ كَلِيمٌ

فلما سمعه يرفع نسبه إلى بني عامر ولا يذكر بني نُمير رحمهم وأطلق أسرههم.

ويُروى أن امرأةً من العرب رأت رجلاً أو شاباً من بني نُمير ينظرون إليها بريئة، فقالت:

تَبَّأَ لَكُمْ، لَمْ تَمَثِّلُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

[النور: ٣٠] ولا قول جرير:

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَغَبَّاءَ بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا

إذن: هكذا كان الهجاء يحطُّ، وكانت الكلمة تُؤثر عند العرب، والشعر في ذروة ذلك.

وفي المقابل رفع الشعر أحياءً كانت حامله، ولم يكن لها ذكرٌ بين العرب، من ذلك بنو

أنف الناقة، وهم بنو جعفر بن قُريع من عبد مناة بن سعد بن تميم بن مُر بن أد بن طابخة بن

إلياس بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان، كانوا حاملِي الذَّكر، وكانوا يُعيرون بهذا اللقب

"أنفُ الناقة"، حتى مدحهم الحُطَيْئة بقصيدته المشهورة التي أولها:

طَافَتْ أُمَامَةٌ بِالرُّكْبَانِ أَوْنَةً يَا حُسْنَهَا مِنْ قَوَامِ مَا وَمُتَقَبَا

إلى أن يقول:

قَالَتْ أُمَامَةُ لَا تَجْزَعُ فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْعِزَاءَ وَإِنَّ الصَّبْرَ قَدْ غُلِبَا

إِنَّ إِمْرَأَ رَهْطَهُ بِالشَّامِ مَنَزِلُهُ بِرَمْلِ يَبْرِينَ جَاراً شَدَّ مَا اغْتَرَبَا
هَلَّا التَّمَسَّتْ لَنَا إِنْ كُنْتَ صَادِقَةً مَا لَأَنْعِيشُ بِهِ فِي النَّاسِ أَوْ نَشْبَا
حَتَّى نُجَازِيَ أَقْوَاماً بِسَعْيِهِمْ مِنْ آلِ لَأَيٍّ وَكَانُوا مَعْشَراً نُجَبَا
قَوْمٌ هُمْ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا
قَوْمٌ إِذَا عَقَدُوا عَقْداً لِحَارِهِمْ شَدُّوا الْعِجَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الْكَرْبَا

فلما مدحهم الحطيئة ارتفع ذكرهم، وأصبحوا يفتخرون بهذا اللقب، وانقلب إلى

مديح بعد أن كان لقب هجاء، إذن هكذا كان تأثير الشعر عند العرب.

والأدب: هو: أعمُّ من الشعر في الحقيقة، لأن الأدب يُطلق على أنساب العرب وأخبارهم وأيامهم وأشعارهم، وكل ذلك من المهم، فالأنساب من لم يعرفها فاته كثير من معرفة كلام العرب، وقد كان النبي ﷺ على علم بها، وأخرج الترمذي أن النبي ﷺ سُئِلَ عَنْ سَبَأٍ، أَرَجُلٌ هُوَ أُمُّ امْرَأَةٍ؟ فَقَالَ: «هُوَ رَجُلٌ لَهُ عَشْرَةُ أَوْلَادٍ وَهُمْ: الْأَزْدُ، وَالْأَشْعَرِيُّونَ، وَمَذْحِجٌ، وَحَمِيرٌ، وَكَنْدَةُ، وَأَنْمَارٌ، وَغَسَّانٌ، وَلِخْمٌ، وَجَذَامٌ، وَعَامِلَةٌ».

فكان عليماً بأنساب العرب، وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه عليماً بأنساب العرب، ولما هجا أبو سفيان بن الحارث آل رسول الله ﷺ بأبي هو وأمي ﷺ، وأراد حسان أن يرد عن عرض النبي ﷺ قال له النبي ﷺ: «كيف تهجوه بنسبي؟ هذا ابن عمي نسبه نسبي فإذا هجوته فقد هجوتني» قال حسان: لَأُسَلِّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ، فقال له النبي ﷺ: «إِذْنِ اسْتَعْنِ بِأَبِي بَكْرٍ». أبو بكر كان خبيراً بأنساب العرب فلما قال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه في هجاء أبي سفيان - وقد أسلم أبو سفيان بعد ذلك رضي الله تعالى عنه -:

وَأَنَّ كِرَامَ الْأَصْلِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بَنُو بِنْتٍ مَخْزُومٍ وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ

وَأَنْتَ زَنْيِمٌ نِيْطُ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نِيْطَ خَلْفَ الرَّاْكِبِ الْقَدْحُ الْفَرْدُ

قالت قريش: هذا شعرٌ ما غاب عنه ابن أبي قُحافة؛ لأنهم يعرفون أن حَسَّان لا يعرف

أنساب قريش، هو أراد أن يُفَرِّق بين النبي ﷺ وبين أبناء عمومته من ولد الحارث بن عبد

المطلب، فمدح أبناء المخزومية، النبي ﷺ والده عبد الله بن عبد المطلب، أمه فاطمة بنت

عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وعبد الله

والد النبي ﷺ شقيقُ أبي طالب والزبير، وهو قال له:

وَإِنْ كِرَامَ الْأَصْلِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بَنُو بِنْتِ مَخْزُومٍ

أي: التي هي والدة عبد الله، وطبعًا ليست والدة الحارث والدُ أبي سفيان، وهكذا.

إذن: هذا في معرفة الأنساب وأهميتها، وهي من أهم فنون الأدب كما هو معلوم،

والأدب يُهْدِبُ النفوس ويحملُها على مكارم الأخلاق، وقد روى أهل الأدب أن معاوية بن

أبي سفيان رضي الله تعالى عنه قال: «لقد رأيتني يوم الهرير - وهو يوم من أشد أيام صفين -

وإني لأهُمُّ بالفرار، وما حبسني إلا قول عمرو بن الإطنابة:

أَبْتُ لِي عِفَّتِي وَأَبَى بَلَائِي وَأَخَذِي الْحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّبِّيحِ

وإِقدامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

لأدفع عن مكارم صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح

فإما فُزْتُ بالشرف المُعلَى وإما رُحْتُ بالموتِ المُريحِ

هذه الأبيات ثبتته في ذلك الموقف فثبت، ويروي أهل الأدب أن عبد الملك بن

مروان سِيقَتْ إليه من اليمن جارية من أحسن الجواري كأحسن الهدايا التي تهدى للملوك،

فلما أُدخلت إليه جاءته رسالةٌ بابتداء فتنة عبد الرحمن بن الأشعث، وهذه الفتنة كانت فتناً

من الفتوق العظيمة التي انفتقت على عبد الملك في ملكه، فجلس إليها ساعة ثم قال: والله ما استفدت فائدة هي أحب إليّ منك، ولكن يمنعي منك قول الأخطل:

قومٌ إذا حاربوا شدّوا مآزرهم عَنِ النِّسَاءِ، وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ

ولئن فعلت ذلك إني لألام العرب، إذن كان الشعر يحملهم على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات كما هو معلوم، ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: «تعلموا الشعر فإنه يورث المروءة».

فالشعر يورث المروءة لأنه يعلم الناس الأخلاق وقال أبو تمام:

وَلَوْ لَا خِصَالُ سَنَنِهَا الشُّعْرُ مَا دَرَى بُغَاةُ الْعُلَى مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ

ولذلك قال النبي ﷺ «إِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لِحِكْمَةً».

فالشعر فيه الحكم التي ينتفع بها الإنسان وتُهدّب نفسه وتصلّج تجربته وتعينه في دهره، ومن المُستغرب في الحقيقة أن يكون كثيرٌ من طلاب العلم قد هجروا فنون الأدب، وابتعدوا عنها، وظنّوا أنها من السُّخف، وأنها مما ينبغي أن يبتعد عنه طالب العلم.

فالأدب لا بد لطالب العلم منه؛ لأنه ينتفع به في فهم النصوص الشرعية من الكتاب والسنة؛ ولأن الأمة أيضاً أُتيت من قبل هذا الباب، فقد كتب كثيرٌ من المستشرقين والأدباء الذين يُريدون التشكيك في الإسلام حول الأدب الجاهلي، وحول الشعر الجاهلي، وحاولوا التشكيك في ذلك وهم في الحقيقة إنما يُريدون التشكيك في النصوص الشرعية من وراء ذلك، لأن الشعر يُستشهد به للنصوص الشرعية كما هو معلوم.

وللأسف هؤلاء تبعهم بعض من يُحسبُ على المسلمين من الأدباء من أمثال طه حسين، لكن من تتبّع كتاباته في الحقيقة وجد أنه لا يعدو ما كتبه المستشرق مرّجليوث حول

الأدب الجاهلي من نظرية التشكيك فيه.

والأدب الجاهلي ما كُتب منه هو حديث عهد بالإسلام محفوظ بالرواية، ومعظم النصوص القديمة مشكوكٌ فيها، ولكن الذي يُستشهد به في الغالب هو النصوص التي هي حديثة عهدٍ بالإسلام؛ ولذلك انتقد ابن سلام الجُمحي في كتابه "طبقات فحول الشعراء" على ابن إسحاق إكثاره من الأشعار التي ينسبها إلى المتقدمين وهو نسبٌ لا يُوثقُ به في كثيرٍ من الأحيان، يعزو أشعارًا إلى أممٍ بائدةٍ كعادٍ وثمرود، والعرب البائرة أو البائدة هم: عاد، وثمرود، وطسم، وجديس، والعمالقة، وجرهم، وعييل، وأميم، ووبار. وهؤلاء بادوا في قديم الزمان ولم يبق لهم ذكرٌ مُعتبر، ومن ذلك مثلاً الأبيات التي تُنسب إلى الحارث بن مُضاض، يقال: إنه لما أجلت خُزاعةٌ جرهم ووقف على بعض جبال مكة فرأى إبله تُنحر قال:

وَقَائِلَةٌ وَالْدَّمَعُ سَكَبٌ مُبَادِرُ وَقَدْ شَرِقَتْ بِالْدَّمَعِ مِنْهَا الْمَحَاجِرُ
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُونِ إِلَى الصَّفَا أَيْسَسْ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ

والمحفوظ الذي يوثق به من الشعر يمكن أن يقدر أبعد تاريخه بحدود مائة

وخمسين سنة إلى مائةٍ وستين سنة قبل بعثة النبي ﷺ.

وإن كانت في الشعر الجاهلي بعض الإيحاءات والرموز التي تُوحى بإشارات إلى شعراء

متقدمين لم تبلغنا أشعارهم، وذلك كقول امرئ القيس:

عُوجَا عَلَى الطَّلَلِ الْمُحِيلِ لِأَنَّا نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حَذَامٍ

ابن حذام هذا لا يُعرفُ عنه شيء، فهو شاعرٌ مُتقدم يُحيلُ إليه امرؤ القيس؛ ولكن لم

تبلغنا أشعاره،

وفيه من كلام عنتر بن شداد في مطلع معلقته أيضاً؛ أن الشعر كان معروفاً وكثيراً؛ لأنه قال: **(هَلْ غَادَرُ الشُّعْرَاءُ مِنْ مَرْدَمٍ؟)**، فهذا السؤال في حد ذاته يوحي؛ أن الشعراء كانوا موجودين بكثرة قبل عنتر بن شداد، ومع ذلك يقول أهل الأدب: إن المهلهل -وهو عدي بن ربيعة أخو كليب التغلبي، يقال: التغلبي ويقال: التغلبي أيضاً في النسبة إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

قال ابن مالك رحمه الله تعالى في الكافية:

وافتح أو اكسر عين ما كتغلباً

أي: في النسب إليها تفتح وتكسر - يقولون إن المهلهل هو:

- أول من هلهل الشعر أي: رققه وهذبه،

- وأول من قصّد القصائد،

- وأول من قال عشرة أبيات.

ثم حفظ الشعر بعد ذلك بالرواية، والعرب كانت فيهم رواية الشعر، كان زهير ابن أبي سلمى رواية لخاله بشامة بن الغدير، وكان الحطيئة رواية لزهير، يعني يكون الشاعر له راو يروي أشعاره، كانت هنالك حالات كثيرة من ذلك كما هو معلوم.

هذا الشعر حفظه العرب بالأساس عن طريق الرواية، لأن العرب في معظمهم لم يكونوا أمة كاتبة، ولم تؤثر دواوين وكتب قبل الإسلام.

كان فيهم بعض الكتاب؛ قريش مثلاً كانت أمة متعلمة، ولكن معظم القبائل الأخرى لم تكن كذلك؛ ولذلك لما ظفر النبي ﷺ بأسرى بدر جعل من فدائهم أن يُعلم الرجل منهم

عشرة غلمانٍ من الأنصار الكتابة؛ لأن الأنصار كانوا أميين، وقُرِش كانت أمةً كاتبة متعلمة، ولكن مع ذلك كانت تعتمد في شعرها على الرواية، ولم تكن تعتمد على الكتابة كما هو معلوم.

هنالك قصائد يقال إنها: كُتبت -بل عُلِّقت- على الكعبة كما يقال عن المعلقات إنها: عُلِّقت على أستار الكعبة، استحسنتها العرب وأجازتها وعلَّقتها بأستار الكعبة بعد كتابتها. بدأ التدوين في صدر الإسلام كما هو معلوم، وألفت في ذلك كتب كثيرة، والأدب ليس من الفنون التي تُتعلم بالمتون كالفقه ونحو ذلك؛ إنما يتعلمه الإنسان:

- بالمطالعة.

- والمسامرة.

- والممارسة.

♦ **بالمطالعة:** أي: مطالعة كتبه ومراجعته.

♦ **والمسامرة:** وهذا أسلوب قديم كان معروفاً عند الأولين، وقد أدركنا بعضه، وهو أن يجلس الناس يتسامرون فينشد هذا وينشد هذا، ويعلق هذا لهذا فيحُلُّ له بعض ما استغلق عليه، فهذا مما تبنى به ملكة الأدب مسألة المسامرة.

♦ **والممارسة:** يمارس الإنسان الكتابة والشعر والخطابة ويتدرج في ذلك حتى يكتسب ملكة الأدب.

وكتب الأدب قال ابن خلدون: إن ملاكها ومرجعها يرجع إلى أربعة كتب، هذه الكتب في الحقيقة متكاملة، يكمل بعضها بعضاً، وهي:

١ - كتاب «الكامل» للمبرد.

٢ - كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ.

٣ - كتاب الأماشي لأبي علي القالي.

٤ - كتاب «أدب الكاتب» ويسمى أيضًا أدب الكتاب لابن قتيبة، ولكل واحد من هذه

الكتب ميزة إذا انتظمت واجتمعت عند الإنسان فإنه يأخذ من الأدب بحظ وافر.

♦ فابن قتيبة اهتم بضبط الألفاظ ومعانيها.

♦ والبيان والتبيين اهتم بالإنشاء وصناعة الخطب وكتابة الشعر.

♦ «والأماشي» هو أكثرها شعرًا.

♦ «والكامل» هو أكثرها أخبارًا وآثارًا كذلك.

فهذه الكتب تعتبر أمهاتٍ من مراجع الأدب، هناك أيضًا كتب جامعة كبيرة يعتني بها

طلاب الأدب منها:

١ - كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه.

٢ - كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني، وهو كتاب اشتمل على مادة أدبية كبيرة،

ولكن لم يخل من بعض السُّخف والمجون والإسفاف، وأيضًا لم يكن صاحبه يحتاط في

الرواية، بل كان يروي كثيرًا من الأشياء الضعيفة، فحط ذلك من مكانته، وإن كانت مادته

الأدبية غزيرة كما هو معلوم، من أهم كتب الأدب أيضًا الكتب المتعلقة بالأمثال، وكذلك

كتب الأنساب، وكذلك أيضًا الكتب التي تعتني بالقصص؛ لأن القصص فن من فنون

الأدب، ومن أهم كتب القصص، قصص مثلًا الحيوانات ككتاب "كليلة ودمنة"، هذا

الكتاب كتاب نفيسٌ وجميلٌ ومُهم، ألفه حكيمٌ هنديٌّ يقال له بيدبّا، وكتبه أصلاً باللغة السنسكريتية؛ ولكنه تُرجم بعد ذلك إلى اللغة الفارسية؛ لأن هذا الكتاب يعتني بالحكم التي تتعلق بالحُكم والسياسة، وهو من أجود ما ألف في هذا الباب، ولما سمع عنه كسرى أنوشروان أمر بترجمته، وتُرجم له وحُمِلَ إليه، ثم ترجمه إلى العربية عبد الله بن المقفع وهو كتابٌ نافع ليس لمجرد سرده القصصي المسلّي؛ وإنما لما اشتمل عليه من الحكم التي جاء بها صاحبه كمخاطبات بين الحيوانات كالطيور وغيرها.

كذلك أيضاً من أهم مراجع الأدب بعض الكتب التي لم تؤلف أصلاً لمقصدٍ أدبي، وإنما ألفت لمقصد علمي لكنها اشتملت على مادة أدبية ثرة وغزيرة؛ وذلك ككتاب "خزانة الأدب" للبغدادى فهذا الكتاب أصلاً ألفه صاحبه ليشرح به شواهد شرح الرضي على كافية ابن الحاجب في النحو، ألفه ليشرح به شواهد نحوية، ولكنه بذل جهداً عظيماً في جمع النصوص التي هي أصول للشواهد، وجمع القصص التي بُنيت عليها، وجاء من ذلك بمادة أدبية نافعة رائعة جميلة.

♦ وكذلك أيضاً كتاب «شواهد المغني» للسيوطي رحمه الله، إلى غير ذلك.

ثم ما يسمى بكتب المختارات ومن أهمها:

♦ "جمهرة الأدب" للقرشي وهي كتاب صنفه صاحبه، اختار فيه قصائد من أحسن ما

قيل في شعر العرب، وصنفها إلى مجموعات؛ إلى معلقات، ومجمهرات، ومذهبات، إلى غير ذلك.

♦ وكذلك أيضاً كتاب "المفضليات" للمفضل الضبي وهو من أحسن الاختيارات،

اعتنى فيه أيضا باختيار قصائد كثيرة من الشعر العربي

♦ ومن ضمن المختارات كتاب "الحماسة" فكتاب الحماسة هو: من كتب

المختارات، اختاره أبو تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفى سنة إحدى وثلاثين ومائتين،

خرج إلى خراسان ليمدح عبد الله بن طاهر فمدحه وأجازه، فلما كان قافلا من خراسان

مر بهمذان فنزل بها عند صديق له يقال له: أبو الوفاء بن سلمة فحبسه الثلج والجليد ولم

يستطع السفر مدة،

فلما احتبس في همذان بسبب الثلوج والجليد شقَّ ذلك عليه لما يجد في نفسه من الشَّوق

إلى أهله، فلما رأى صديقه ذلك فتح له مكتبته فسر بذلك أبو تمام وبدأ يلتقط الدرر من تلك

المكتبة وألف من ذلك :

♦ كتاب الحماسة.

♦ وكتاب الوحشيات.

فهذا أصلاً كله سببه أنه حبسه الثلج عن أهله فوجد مكتبة فاستخرج منها هذه الكنوز

النافعة،

حماسة أبي تمام طار ذكرها في الآفاق وانتشر حتى نسج الناس على منوالها حماسات

كثيرة.

ألف غريمه أبو البحري - وهو معاصر له وكان ندا له في الشعر - ألف حماسة تسمى،

- حماسة البحري وأيضا

- حماسة ابن الشجري

- والحماسة البصرية،

- والحماسة المغربية،

ألفت حماسات كثيرة بعد ذلك لكنها تقاصرت عن مدى حماسة أبي تمام، فبقيت حماسة أبي تمام في المقدمة وكان قد اختار فيها فأحسن الاختيار ووضع فيها ما يحتج به من شعر العرب مما هو في عصر الاحتجاج، ومعلوم أن عصر الاحتجاج ضبطه العلماء:

♦ ضبطاً مكانياً.

♦ وضبطاً زمانياً.

لأننا نحتاج إلى أن نعرف الشعراء الذين يحتج بكلامهم في إثبات اللغة والنحو والصرف، فهذه علومٌ لا تثبت إلا بلغة من كان على السليقة، فلذلك حصروها من حيث المكان، وأقصوا بعض شعراء الشام والعراق الذين كانوا مُحاذين لبعض الحضارات الأخرى كالروم وفارس، وتأثرت ألسنتهم، ولم يقبلوا إلا من هو من صميم جزيرة العرب، وحصروا الاحتجاج أيضًا حصراً زمانياً، فهو محدد بسقوط دولة بني أمية، من نبغ في الشعر، أو في الكلام أو الخطابة بعد سقوط دولة بني أمية لا يحتج بشعره في النحو، ولا في الصرف ولا في اللغة المعجمية، أما البلاغة فإنها يُحتج فيها بشعر كل أحد، حتى لو قلت أنت الآن شعراً يُمكن أن نحتج به في البلاغة؛ لأن البلاغة راجعة إلى المعنى، والمعنى يستوي فيه المتقدم والمتأخر، وأما النحو والصرف واللغة المعجمية فهي راجعة إلى ضبط ألفاظ العرب كما نطقها العرب الفصحاء بسليقتهم، وآخر من يحتج بشعره هو إبراهيم بن هرمة من مخضرمي الدولتين، أي دولة بني أمية ودولة بني العباس.

سبب هذا الحد هو: أن دولة بني العباس قامت عن طريق ثورة، وهذه الثورة وقودها العجم معظم من قام بها هم العجم من أهل خراسان، ومن كان معهم، فدخلوا في بلاد العرب، وأفسدوا السليقة عليهم، فسدت السليقة بذلك فلم يعد هناك من يوثق بعربيته؛ فلذلك اعتنى العلماء بضبط الأشعار التي هي في عصر الاحتجاج، والعلماء يعززون إلى الحماسة فيقولون: قال الشاعر الحماسي:

إذن هذا يكفي في تأصيل هذا الشاهد عندما يقولون قال الشاعر الحماسي كذا.

إذن اعتنى باختيارها من جهة جودة شعرها ومن جهة تنزيها عن أشعار المولدين الذين ضعفت السليقة عندهم وماتت عربيته الفصحى، ورتبها على عشرة أبواب:

الباب الأول: هو باب الحماسة، وعندما نقول: الحماسة معناه نعني الشعر المتعلق بالحرب وفنونها، وبذكر الشجاعة والفخر، فكل ذلك يُسمى بشعر الحماسة.

الباب الثاني: جعله في المراثي، لأن هذا أيضاً من أهم الأغراض التي وضعتها العرب كذلك.

الباب الثالث: جعله في الأدب

الباب الرابع: في النسيب ومعناه: الغزل

الباب الخامس: في الهجاء

الباب السادس: في المديح وذكر الأضياف

الباب السابع: في الصفات والنعوت

الباب الثامن: في السَّير والنعاس

الباب التاسع: في المُلح

الباب العاشر: في مذمة النساء،

وقد ظلمهن حيث أفردهن بالذكر، لا أدري لماذا أفردهن بهذا.

لكن هذه الحماسة على كل حال كتب الله لها القبول وسارت بها الركبان في مشارق

الأرض ومغارها وشرحها كثير من أهل العلم،

♦ ومن أهم شروحها شرح إمام اللغة أبو الفتح ابن جني وهذا معروف.

♦ ويعزى أيضاً شرحها لأبي العلاء المعرّي أديب معرة النعمان أحمد بن سليمان

الشاعر المشهور، وكان من أعلم الناس بها ويقال: إنه قال إنها: اشتملت على جميع بحور

الشعر الخمسة عشر- هو طبعاً كأنه لا يعترف بالبحر الذي زاده الأخفش وهو المتدارك- إلا

ثلاثة وهي:

١- المضارع.

٢- المقتضب.

٣- المجتث.

هذه البحور هي التي لا توجد في الحماسة، أما بقية البحور فإنها توجد فيها، قال:

وتوجد فيها قوافي الشعر إلا المتكاوس، قوافي الشعر خمسة:

١- المتكاوس.

٢- المتدارك.

٣- المتراب.

٤- المتواتر.

٥- المترادف.

وهذه توجد في الحماسة إلا المتكاوس، وهو الذي يكون بين آخر ساكن منه - قبل الروي - وبين سكون الروي أربع حركات، وحصر ما فيها من الأعاريض، وما فيها من الضروب، وما فيها من البحور، وما فيها من القوافي، وهي دراسة فنية شكلية قام بها أديب معرة النعمان أحمد بن سليمان.

من الذين شرحوها أيضا كذلك.

♦ لإمام اللغوي الكبير الأعلام الشنمري رحمه الله تعالى وشروحه كلها نافعة؛ لأنه من الأئمة المتمكنين في اللغة.

♦ وشرحها أيضًا كذلك الخطيب التبريزي.

♦ وكذلك أيضا شرحها المرزوقي.

فهذه من أهم الشروح الموجودة على هذا الكتاب، وكما قلت: فإن أبا تمام وفق كثيرًا في اختيار النصوص، وأيضًا مما حسنهما أنه تجنب المطولات، فاقصر على المقطوعات التي يسهل على الإنسان حفظها، فيذكر لك ثلاثة أبيات، أو خمسة أبيات، أو تسعة أبيات، وهكذا.

فجنبها المعلقات، لا توجد فيها معلقة، ولا توجد فيها أي قصيدة طويلة تبلغ ثلاثين بيتًا مثلاً.

فقد اقتصر على المقطعات النافعة، وأفاد بذلك طلاب العلم إفادة عظيمة؛ ولذلك

يُنصح طلاب العلم بهذا الكتاب وبخدمته؛ لأنه كتاب جليل، فأبو تمام يقال: إنه - مع تمكنه في الشعر وقوة قريحته - في حماسته كان أشعر منه في ديوانه، يعني اختياره في الشعر أحسن من شعره، وهذا على غير الغالب، الغالب أن الشاعر لا يكون ناقدًا، ولا يُميز كثيرًا بين أنواع الشعر، فالنقد والشعر شيان، ولذلك لم يكن مثلاً أبو الطيب المتنبي يُبالي عندما كان الشعراء ينقدون شعره، لا يُجاريهم في النقد؛ لأنه لا يعرف هذا العلم، وإنما يقول:

أَنَا مِلءُ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الْقَوْمُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ

أنا أقول هذا فقط والنقاد يتكلمون بما بدا لهم، لكن أبو تمام مع قوة شاعريته - وهو الذي يناظر مع أبي الطيب المتنبي، بل إن أهل البلاغة ينتصرون كثيرا لأبي تمام ويقولون: إن المتنبي سرق كثيرا من معاني أبي تمام - مع ذلك كان اختياره جميلاً، وكان موفقاً في اختياره. فهي كما قلت: كتاب نافع ينصح طلاب العلم باقتنائه، وبخدمته، وبحفظ ما تيسر لهم منه، ولعلنا نقتصر على هذا القدر إن شاء الله.

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.